

القدس في الشعر الجزائري

الملخص :

تناول هذه الدراسة مكانة القدس في نفوس شعراء الجزائر و محاولة إبراز ميزات الروحية المتجلية في أنبياء الله والقبلة الأولى للمسلمين من خلال عينات اقتطفناها من بعض الدواوين الشعرية مساهمة منا في إطلاع القاري على ما جاءت به قرائح شعرائنا في هذا الموضوع .

أ. حسين فارسي

قسم اللغة العربية

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية
جامعة - تلمسان -

أصبحت مكانة فلسطين في نفوس شعراء الجزائر فوق كل اعتبار فما من قصيدة تجود بها قرائح هؤلاء ، الا ونجد الحديث عن القدس و مكانتها ضمن هذه الأشعار فهذا شاعر الثورة الجزائرية رحمه الله ، ينوه بهذه القداسة فيقول في قصيدة له تحت عنوان فلسطين على الصليب (1) .

فلسطين يا مهبط الأنبياء	و يا قبلة العرب الثانية
و يا حجة الله في أرضه	و يا هبة الأزل السامية
ويا قدسا باعه آدم	كما باع جنته العالوية
ويا لك من حرم آمن	جياح ابن آوى بها عاوية

وهكذا تطغى قداسة فلسطين على شاعرية مفدي زكريا فيستوحي أفكاره من القرآن الكريم ومن السنة النبوية و كفى أرض فلسطين فخرا ، تنويه القرآن بها و بمقدساتها . " " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله " (2) . ومع الفكرة نفسها وحول قداسة فلسطين نقرأ للشاعر أحمد سحنون قوله :

أموطيء أقدام النبيين و الرسل	وموطن نسل الوحي بورك من نسل
وللشاعر نفسه وفي السياق عينه، نقرأ له في قصيدة تحت عنوان فلسطين أنا أحبنا الندا	
و أنت منار العلا مذ بنيت	يد الرسل مسجداك المقتدى

جمعت المكارم و السـُـودا
ونخر لها ركعاً سجـُـدا

ومذ كنت مسرى نبي الهدى
و كنت لأوجهنا قبـُـلة

إن الشاعر يذكرنا من خلال هذه الأبيات بالمفاخر الروحية التي تجمعت في أرض فلسطين فهي منار العلا، وقد بنت يد الرسل فيها مسجدها المفتدى ، وهي مسرى نبي الهدى سيدنا محمد " ص " وهي قبلتنا الأولى :

لقد جمعت فلسطين بهذه المآثر الروحية كل أنواع المكارم المقدسة
و تبقى هذه الشاعرية الروحية الإسلامية تسيطر على شعراء الجزائر في شعرهم الفلسطيني فلا تكاد تخلو قصائدهم من هذه النبرة .

و على هذا النهج ساروا جميعا واشربأت لأرض فلسطين أعناقهم ورنّت لها عيونهم فهذا محمد الأخضر السائحي يقول في نفس المضمار حول قداسة فلسطين ، و يتحدث في نفس الوقت على نفسية الشعب الجزائري المنشغل بما يجري في هذه الأرض و ما يحز في نفسه من هذه الآثار التي تهودت و ديست قداستها .
ويرنو إلى القدس الذي كان قبـُـلة

بعين حزين دمعها قد تجمـُـدا

يرى الأثر الغالي تغير فجـُـاة

فكل مكان في التراب تـُـودا (5) .

النهج نفسه يتبعه الشاعر عبد القادر السائحي فيقول:

أرض المعارك و الملاحـُـم و الإبل

و الوحي في عرصاتها يـُـتردد (6) .

وهكذا نظر شعراؤنا إلى فلسطين بنظرة العقيدة فذكروا الآثار الروحية و المقدسات

لان التزعة الدينية قد سيطرت عليهم و هذا ليس غريبا لأن القوم مسلمون قبل كل شيء .
ويقف أحد شعراء الجزائر طويلا عند القدس و أثرها المقدسي ليقول :

عشر و سبع كلها خـرق

حاف بلا خف كـمن أسـترا (7)

إشارة إلى فتح القدس في السنة السابعة عشرة من هجرة سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد الأمين صلوات الله و سلامه عليه و آله و الطاهرين .

ويشرع الشاعر - بعد أن لحق اليأس به - في مخاطبة درّة الأرض فيقول : (8)

يا درة الأرض لا تبكي فان هنا

ربا قديرا ينصر الـدّرا

يا ربّ ان القدس في زمـني

عذراء ... حبلى تكره السمرا

كم من لقيط راح يعبـدها

يوما وكم قد قدّم النـذرا

ويواصل صل الميهوبي مخاطبة القدس ، درة الأرض بعد أن اشتكى أمره و أمرها إلى

الباري

يا عفة القدس التي فطرت * ويا ذلّ من أحنوا لهم دبرا

يا طهر أرض الأنبياء هنا * عرض يموت اليوم مندحرا

دنت ثنايا الأرض قاطبة * يا ويح أرض تحبل القذرا (09) .

وهذا مصطفى محمد الغماري في قصيدة تحت عنوان " يا قدس " نراه يعدد مقدسات

فلسطين مذكرا بميزاتها الروحية المتجلية في أنبياء الله وما يكتنفهم من طهر وحزم ، و القبلة

الأولى للمسلمين ، وما جرى بأرض فلسطين من أحداث دينية كالاسراء و المعراج فيقول :

يا قدس كم فيك من ذكـرى مقدّسة

طارت بأجنحة الأضواء نجواها

توهج الحزم في جلـي محمّـدهـا

و يبدي كثير من الشعراء الجزائريين خوفهم ووصلهم من لحوق القدس الشريف
بالأندلس الضائع المفقود أو أن تلحق أم قرى القدس

أخشى وما أخشى أيا وطني

أن تلحق القدس أم قرى (15)

أما أبو الحسن علي بن صالح فيقول ضمن عنوان عيد الأضحى تذكيرا بعنو الصهاينة
و احتلالهم لفلسطين ، وما ذلك الا تحريك للهمم وتحفيز للقيم من أجل نصرة فلسطين .

عدو واحتله الأندل و القزم

وثالث الحرمين اليوم صفده ال

وراح في نشوة يغزو وينتقم

جثا على صدره صهيون في صلف

المستعمرون بأرض العرب و اجتمروا

صهيون قاعدة العدو ان نصّبها

تذكروا القدس فالقدس الشريف دم

يا طائفين باحرام وتليّة

وشوهت وجهه الأرزاء و التقم

بقدسنا عبثت أيد مدّسّة

معالم العرب ، أين العرب أينهموا

وفي فلسطين عاث الرجس مكتسحا

و اليوم قدس، فأين العزم و الشّم (16)

بالأمس أندلس ضاعت وهل رجعت

هكذا لا يخفي أبو الحسن خوفه من ضياع القدس اثر فقدان الأندلس

فها هو ذا الشاعر الجزائري نور الدين درويش في قصيدته " في عينيك حلمي " يظهر حيرته
و يحهل بدايته ، أيبدأ بدمع عينه أم بنار قلبه و كل من الحالين علقم ومرّ .

من أين أبدأ يا ليلي حكايتنا

من حيثما الدفع أم من حيثما النار

هلاّ أحدثت عن قدس و أندلس

و كيف انسلخت عن دارنا الدار

هلاّ أحدثت عن أقزام بلدتنا

و كيف تنفخ بالأصغار أصفار

هلاّ أحدثت عن طفل بلا وطن

تدوسه الريح ان ثارت و أمطار (17)

والجمع بين الأندلس و القدس ليس أمرا غريبا و لا عجيبا فكلاهما استهدفا من أعداء الله العظيم من المغضوب عليهم ومن الضالين .

ويذكر الشاعر محمد العيد بعروبة القدس ، فهي القبلة الأولى للمسلمين وهي رمز وحدتهم و قوتهم و فخرهم .

القبلة الأولى التي استصغرت فرقا

هي للعروبة قبلتة الأنظار .

موسى و عيسى و النبي محمد

سيطالونك بالنجيع الجاري

ويقف متألما لآخبار تقسيم فلسطين بعامة و القدس بخاصة فيقول :

يا قسمة القدس أنت ضيزى	لم يعدل القاسمون فيك
مضوا على الخيف لم يبالوا	بما جرى من دم سفيك
القدس للعرب من زممان	لن يقبلوا فيه من شريك
قد سماه الأجيتبي خسفا	وهده من ركنه السميك
يا (لندرا) لو درى بنونا	لم يأمنوا الغدر من بنيك
أخال شعب اليهود سرا	سباك المسجند السبيك
أهكذا تفصل القضا	بحكمها لجنتة المليك
قد دلّ طغيان أنكلترا	على فناء لهاوشيك (19) .

وهذا الشاعر كمال عجلي في قصيدة له بعنوان ثورة أول نوفمبر ، رابطا رباط الأخوة من ته الثورة و غيرها من أقطار العروبة و الاسلام فيقول : (20) .

يا قدسنا كيف أسلو أنت ذاكرتي لا حسن . لا طعم الا أنت يا نظر

ويلتفت الى صلاح الدين الأيوبي مخاطبا آياه ومناديا له : (21)

يا عاشق القدس في مثواك معتذرة
ضاعت جهودك و الجولان منحدر
أين الخليل و أين القدس يا زمي
أين الخليل عفت و العرب ما اعتبروا
وتحت عنوان من وحي الاسراء و المعراج لابن رحمون نقف على أبيات تنوّه بفلسطين
ومقدساتها

ذو العرش أسرى بخير الناس من حرم
آمن الى حرم يأوي النبيئينا (22)
فأنزلت خير خلق الله أسوتنا
ليلا بأزكى مصلى في فلسطين
ذاكم هو المسجد الأقصى يقابله
من مرسلين مضوا وفيه المحبينا (23)
ويشيد الشاعر الجزائري محمد مصطفى الغماري بأطفال الحجارة في آخر قصيدة له
بعنوان كل طفل عماد :

كل طفل يا قدس فيك عماد
فدعي الوهم و اركبي با جواد
واصغي يا بقية الله فينا
عرس مجد تغنو له الأجماد
وقد قدم لها بقوله : (24)

ان أروع صورة للشهادة لشهادة الشّباب ، فالى الشهيد السعيد ... " عماد عقل "
وهو يتناثر اشلاء ، فداء القدس الشريف و الاسلام العظيم .

الهوامش

- (1) مفدي زكريا : ديوان " اللهب المقدس " ش.و.ن.ت الجزائر 1983 ، ص 336 .
- (2) سورة الإسراء بعض آية 1
- (3) جريدة البصائر ، عدد 5/18 جانفي 1948 .
- (4) أحمد سحنون ، الديوان ، ش.و.ن.ت الجزائر ، د.ت ، ص 132
- (5) محمد الأخضر السائحي " ديوان إسلاميات " م.و.ك ، الجزائر 1984 ، ص 62 .
- (6) عبد القادر السائحي ، ديوان " إسلاميات " م.و.ك ، الجزائر 1983 ، ص 129 .
- (7) عز الدين ميهوبي : ديوان " في البدء كان أوراس " دار الشهاب ، ط1 ، باتنة 1983 ، ص 191 .
- (8) المصدر نفسه ، ص 194 .
- (9) المصدر نفسه ، ص 194 .
- (10) ملنقى الفكر الإسلامي الرابع عشر ، منشورات وزارة الشؤون الدينية ، ص 427

- (11) محمد الأخضر السانحي : ديوان " بقايا و أوشال " م.و.ك ، الجزائر 1987 ، ص 44 .
- (12) علي بن صالح أبو الحسن : الديوان ، م.و.ك ، الجزائر 1984 ، ص 179
- (13) المصدر نفسه ص 181 .
- (14) جريدة المنقذ ، الجزائر 12 رجب 1410 هـ
- (15) عز الدين ميهوبي : ديوان " في البدء كان أوراس " ، ص 199 .
- (16) علي بن صالح أبو الحسن : الديوان ، ص 167
- (17) جريدة المساء ، الجزائر 29 سبتمبر 1991 ، ص 10 .
- (18) محمد العيد آل خليفة : الديوان ش.و.ن.ت ، ص 330 .
- (19) المصدر نفسه ص 25.
- (20) جريدة رسالة الأطلس ، ع 33 ، الجزائر من 1 الى 7 نوفمبر 1993 ، ص 25 .
- (21) المرجع نفسه ص 25 .
- (22) ابن رحمون : الديوان ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1980 ، ص 25
- (23) المصدر نفسه ص 26 .
- (24) الشروق الثقافي ع 18 ، الجزائر من 2 الى 9 ديسمبر 1993 ، ص 24 .